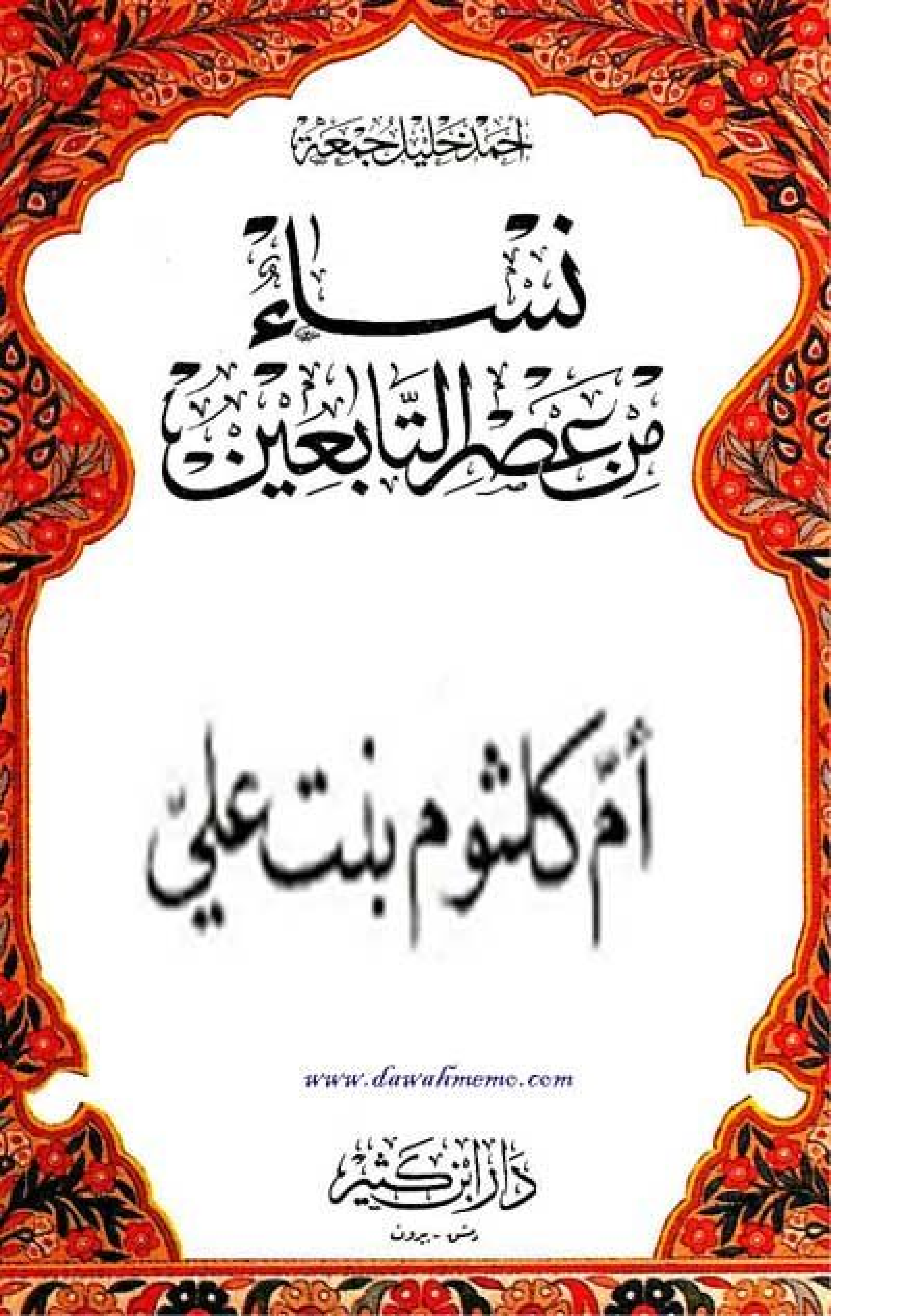

أحمد خليل جمعة
نساء من عصر التابعين
أم كلثوم بنت علي
www.dawahmemo.com
دار ابن كثير
دمشق - بيروت

(١٠)

أمّ كلثوم بنت عليّ

* زوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فصيحة ، صاحبة الخطبة المشهورة في أهل الكوفة ، لها منقبة عظيمة فجدّها رسول الله ﷺ وأبوها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنها .

أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عَلِيّ

البَيْتُ الطَّاهِرُ :

* أمُّ كُلثوم بنت عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشميّة ، شقيقة الحسن والحسين ، وُلدت في حياة جدّها رسول الله ﷺ ؛ في حدود سنة ست من الهجرة[1] ، وقد سمّاها رسول الله ﷺ بأمّ كلثوم ، وقد رأتِ النّبيَّ ﷺ ولم تروِ عنه شيئاً .

* وفي البيتِ الذي أذْهَبَ الله عنه الرِّجس ، وطهّره تطهيراً ، نشأت أمّ كلثوم ونَعِمَتْ بأكرمِ أمٍّ في الدُّنيا ، فأمُّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء العالمين ، وقد صُنِعَتْ أمّ كلثوم على عينَي والديها ، وكان جدُّها رسول الله ﷺ يحوطها برعايته وحبِّه .

* ولما بلغتْ أمُّ كلثوم أشدّها كانت مِنْ أفصحِ بنات قريش ، وكيف لا ، وقد غُذّيت البلاغة في البيت النّبوي القرشيّ ؟ فأكرمْ به مِنْ بيت ! .

* * *

(١) الطبقات (٤٦٣/٨) ، وسير أعلام النبلاء (٥٠٠/٣) ، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٦٥/٢) ، والإصابة (٤٦٨/٤) . وقد آثرنا أن نكتب عن حياة أم كلثوم في نساء عصر التابعين على الرغم من أن ولادتها كانت في أخريات العهد النبوي .

بَارَكَ اللهُ فِيْكِ :

* أحبَّ سيِّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وهو أميرُ المؤمنين ـ أنْ يصلَ نسبه وسببه برسول الله ﷺ ، بزواجه من أمّ كلثوم ابنة عليّ وفاطمة ـ رضي الله عنهما ـ .

وانطلق عمر فأتى علياً ، وخطب إليه ابنته أمّ كلثوم وكلَّمه في أمرِها ـ وكانت ما تزال صبيةٌ دونَ البلوغ ـ فقال علي ـ رضي الله عنه ـ : إنّما حبستُ بناتي على بني جعفر ـ أولاد أخيه ـ .

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : زوجنيها يا عليّ ! فو الله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما أرصد ـ أي أعدّ ـ . فقال عليّ : قد فعلتُ .

ثمّ غدا عليٌّ على بيته وأمر ببُرْد ـ ثوب ـ فطواه ، وقال لأمّ كلثوم : انطلقي بهذا إلى أمير المؤمنين فقولي له : أرسلني أبي ، وهو يقرئك السّلام ويقول : إنْ رضيتَ البُرد فأمسكه ، وإنْ سخطته فردَّه .

فلما أتتْ عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : باركَ الله فيكِ وفي أبيكِ قد رضينا .

فرجعتْ أمُّ كلثوم إلى أبيها فقالت : ما نشر البُرْدَ ولا نظر إلا إليَّ . فزوّجها إياه .

* وسرَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ بإصهاره بيت رسول الله ﷺ ، ثم جاء المسجد النّبويَّ ، إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر ، وكان يجلس فيه المهاجرون الأولون : عليٌّ وعثمانُ والزُّبير وطلحةُ وعبدُ الرحمن بن

عوف ـ رضي الله عنهم ـ فإذا كان الشيء يأتي عمر بن الخطاب من الآفاقِ جاءهم فأخبرهم بذلك ، واستشارهم فيه .

فجاء عمر فقال : هنئوني ، فهنوه وقالوا ، بِمَنْ يا أمير المؤمنين ؟ قال : بابنةِ علي بن أبي طالب ؛ ثم أنشأ يخبرهم فقال : إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال :

« كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلا سببي ونسبي »[1] .

ثم أضاف عمر قائلاً : وكنتُ قد صحبتُ النَّبيَّ ﷺ فأحببتُ أن يكونَ هذا النَّسب بالإضافة إلى الصُّحبةِ .

* وذكر الطَّبريُّ وابنُ كثير والذَّهبيُّ ـ رحمهم الله ـ أنَّ زواجَ عمر بأمِّ كلثومٍ كان في ذي القعدة سنة (١٧ هـ) ، وأصدقها عمر أربعين ألفاً ، وكان من ثمرة هذا الزَّواج المبارك أنْ أنجبتْ لعمر ابنه زيداً ، وابنته رقيَّة .

* وعاشت أمُّ كلثوم مع عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، فكانت خير زوجة وخير أمّ ، وتألّقتْ بأعمالها الرّائعة وصفاتها الكريمة مما جعلها تحيا في قاموس الخالدات أبد الدَّهر .

* وكانت لها مع عمر مواقف وضيئة ومآثر كريمة تشير إلى سَعةِ عقلها ، وبركة عملها ، وحُسْنِ سلوكها كزوجة وأمّ ، وموافقتها عمر في

---

(١) عن الطبقات (٤٦٣/٨ و ٤٦٤) بشيء من التصرف . وانظر القصة في المصادر التالية : الاستيعاب (٤٦٨/٤) ، وأسد الغابة (٦١٤/٥ و ٦١٥) ، والإصابة (٤٦٩/٤) ، والسمط الثمين (ص ١٩٢ و ١٩٣) ، وتاريخ الإسلام (١٣٨/٤ و ١٣٩) وغيرها .

أعمال البّر والإحسان ، ولسوف نرى من روائعها ما يجعلها حيّةً في نفوسنا مدى الزّمن .

* * *

أمُّ كُلثوم وعَدْلُ عُمَرَ :

* في حياة أمّ كلثوم بنت عليّ وزوجها عمر مواقف رائعة ، تشهد لها بالعظمة التي فُطر عليها كلّ واحد منهما ، فقد كان عمر ــ رضي الله عنه ــ يهتمُّ بأمور المسلمين اهتماماً بالغاً ، ويعرف أقدارهم ومكانة كل واحد منهم لدى رسول الله ﷺ ، وخاصة نساء الصّحابة اللواتي قدمن خدماتٍ عظيمة للإسلام والمسلمين ، ولم يكنْ ليفضل زوجه أمّ كلثوم على إحدى السّابقات إلى ساحة الإسلام ، فلكلٍّ واحدة منهما مكانتها التي لا تُظلم فيها .

* أخرج البُخاريُّ عن ثعلبةَ بن أبي مالك ــ رضي الله عنه ــ ، أنّ عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قسم مروطاً بين نساء من نساء المدينة ، فبقي مِرط ــ كساء ــ جيّد ، فقال له بعض مَن عنده : يا أمير المؤمنين ، أعطِ هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك ــ يريدون أمّ كلثوم بنت علي رضي الله عنهما ــ .

فقال عمر ــ رضي الله عنه ــ : أمُّ سليط ــ رضي الله عنها ــ أحقّ ــ وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ ــ .

قال عمر : فإنّها كانت تزفر ــ تخيط ــ لنا القُرب يوم أُحُد .

* وبهذا التّصرف الكريم عرف عمر ــ رضي الله عنه ــ قدر

الصَّحابية الجليلة أمّ سليط الأنصاريّة ، وأحسن إليها لقدم صحبتها وحسن بلائها في يوم أُحُد وغيره .

* * *

ابْنَةُ عَلِيٍّ وامْرَأَةُ عُمَر :

* من المشهور أنَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يعيشُ عيشة الفقراء وكان يدينُ نفسه بهذه العيشة ، ولا يأبى على غيره أنْ يخالفها ، ويقنع باليسير ، وأبى أنْ يعيشَ أفضل مما عاش عليه النّبيّ ﷺ وخليفته الأول أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ؛ وكثيراً ما تحدث إليه خاصته أنْ يشفقَ على نفسه ويتوسّع في العيش ليكون ذلكَ أقوى له على الحقّ ، فكان يقول لهم : قد علمتُ نصحكم ، ولكنّي تركتُ صاحبيَّ على جادّةٍ ، فإنْ تركتُ جادّتهما لم أدركهما في المنزل .

* ويبدو أنَّ أمّ كلثوم كانت في بداية حياتها مع عمر ، تودّ لو يميلُ قليلاً إلى الرّفاهية والعيش الهني ، وأنْ يكسوها من الثّياب ما يكسو به الصَّحابة زوجاتهم ، ولكنَّ سيّدنا عمر يردّ عليها ردَّ الرَّجل الحكيم الذي يؤثر الآخرة على الدنيا ، عند ذلك ترضى أمّ كلثوم .

* وقد حدث هذا حينما قدم ضيف على عمر ، فأدخله منزله ونادى امرأته فقال : يا أم كلثوم غداءنا ! .

فأخرجت إليه خبزة بزيتٍ في عُرْضها ملح لم يُدق .

فقال : يا أمّ كلثوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا .

قالت : إنّي أسمع عندك حسَّ رجل .

قال : نعم .

قالت : لو أردتَ أنْ أخرجَ إلى الرّجال ، لكسوتني غير هذه الكسوة كما كسا ابن جعفر امرأته ، وكما كسا الزّبير امرأته ، وكما كسا طلحة امرأته ! .

قال : أوما ترضين ـ أوما يكفيك ـ أنْ يُقال : أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين ! .

ثم قال عمر لضيفه : ادنُ فكُلْ ، فلو كانت راضيةً لأطعَمتْك أطيب من هذا[1] .

* ولم يكن عمر ـ رضي الله عنه ـ متقشفاً مع زوجاته فحسب ، ولكنّه كان يعامل جميع أفراد أسرته بالعدل ، فقد دخل يوماً دار ابنه عبد الله ، فوجده يأكل شرائح اللحم ، فغضب وقال له ، ألأنكَ ابن أمير المؤمنين تأكل لحماً والنّاس في خصاصة ؟ ألا خبزاً وملحاً ، ألا خبزاً وزيتاً ؟ .

* لقد كانت مائدة عمر خالية من أطايب الطّعام ، ولكنّ شخصيته حافلة بأطايب العظمة ، وجلال العلم ، وكمال التّربية المحمدية . إن عمر ـ رضي الله عنه ـ رجل نشأ في مدرسة النّبوّة بتفوّق ، فكان حقاً عليه أنْ يسلكَ الحقّ مع أقرب النّاس إليه ، فهل سمع النّاس بمثله ؟ .

* * *

---

(١) عن تاريخ الطبري (١/٥٥٨) ، والبداية والنهاية (٧/١٣٤) بتصرف يسير .

أمُّ كُلثوم ومَلِكَةُ الرُّوم :

* أورد الطَّـبريُّ ـ رحمـه الله ـ في تـاريخه أنَّ أمَّ كلثوم بنت علي ـ رضي الله عنهمـــا ـ ، بعثتْ إلى ملكـــة الرُّوم بطِيْبٍ ومشـــارب وأحفـاش[1] من أحفاش النّسـاء ، ودسَّتْه إلى البريد ، فأبلغه لها وأُخِذ منه ، وجاءت امرأةُ هِرَقْل ، وجمعت نساءها وقالت : هذه هدية ملك العرب وبنت نبيِّهـم ، وكاتبتْهَـا وكافأتها ، وأهدتْ لها ، وفيما أُهدت لها عِقْد فاخر .

فلما انتهى به البريد إليه ، أمر بإمســاكه ودعا : الصَّلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصلّى بهم ركعتين وقال : إنّه لا خير في أمْر أُبرِمَ عن غير شورى من أموري ، قولوا في هدية أهدتها أمّ كلثوم لامرأةِ ملك الرّوم ، فأهدت لها امرأة ملك الروم .

فقال قائلون : هو لها بالذي لها ، وليست امرأة الملك بذمّة فتصانع به ، ولا تحت يدكَ فتتّقيك .

وقال آخرون : قد كنّا نُهدي الثّياب لنستثيب ، ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمناً .

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ : ولكنَّ الرَّسولَ رسولُ المسلمين ، والبريد بريدهم ، والمسلمون عظّموها في صدرها .

فأمر بردّها إلى بيت المال ، وردّ على أمّ كلثوم بقَدْرِ نفقتها[2] .

---

(١) « الحِفْش » : الدرج تضع فيه المرأة حاجتها ، والجمع أحفاش .
(٢) تاريخ الطبري (٢/٦٠١) .

* لم يكن عمر ـ رضي الله عنه ـ زوجاً يحابي على حساب زوجته ، بل كان معلّماً كبيراً لها وللمسلمين ، كما كان صاحب مهارة بالغة في صقل الجوهر الإنساني وبَعْث قواه ، فأيّ أثر باهر يتركه موقف كهذا في فؤاد زوجه أمّ كلثوم ، بل وفي أفئدة النّاس ؟ .

إنّها الطّمأنينة التي غَمَر بها قلوب النّاس على اختلاف طبقاتهم . وظلّ يذكر أنّ أمّ كلثوم ابنة عليّ ، وأنّه عمر ، وأنّ الله عزّ وجلّ هو حسبه وحسبها .

* * *

بَشِّرْ صَاحِبَكَ بِغُلَامٍ :

* إذا كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقضي حوائج المسلمين بنفسه ، فإنّ زوجه أمّ كلثوم بنت علي ـ رضي الله عنهما ـ لم تكن أقلّ منه رتبةً في هذا الشّأن ، فقد كانت تشدُّ أزره في الخيرات ، وتشركه في تخفيف الألم عن النّاس ، وكيف لا ؟ وهي سليلة بيت النّبوّة الطّاهر ؟! وزوج التّقي عمر ؟ فقد كانت كلّما رُفِعتْ راية لخيرٍ تلقّتْها أمّ كلثوم باليمين لتفوز بالأجر والثّواب .

* فتعالوا نحضر ليلة ـ من ليالي المدينة ـ مع هذين العَلَمَيْن تلك الليلة التي حلّق كلٌّ واحد منهما عالياً في سماء الفضيلة ، وارتقى سدّة المروءة والنّجدة .

ففي ذات ليلة ، كان عمر في جولة من جولاته يعسُّ بالمدينة المنورة ، والنّاسُ نيام ليطمئن على رعيته ، ويبلو أخبارهم ، ويتعرف أحوالهم ، ويقضي حاجاتهم .

ومرّ عمر بظاهر المدينة ، فإذا هو بيت شَعْرٍ يلوح وسْطَ الظلام لم يكن في الليلة الفائتة ، فدنا منه فسمع أنينَ امرأة ينبعث من داخل الخيمة ، ورأى رجلاً قاعداً ، فاقترب منه وسلّم عليه ، وسأله : مَن الرّجل ؟ .

قال : رجلٌ من أهل البادية جئتُ إلى أمير المؤمنين أصيبُ من فضله .

فقال عمر : ما هذا الصّوت الذي أسمعه داخل الخيمة ؟ .

فقال : انطلقْ يا هذا ـ رحمك الله ـ لحاجتك .

قال عمر : عليَّ ذاك ما هو ؟ .

قال الرّجل : امرأتي جاءها المخاض .. وسأله عمر : هل عندها أحدٌ ؟ .

قال : لا ، فإنّا هنا وحيدان غريبان .

وانطلق عمر مسرعاً حتى أتى منزله ، وقال لامرأته أمّ كلثوم : هل لك في أجْرٍ ساقه الله إليك يا أمّ كلثوم ؟ .

قالت : خيراً ، وما هو ؟ .

قال : امرأة غريبة تمخض ، وليس عندها أحد .

فقالت : نعم ، إنْ شئتَ يا أمير المؤمنين[1] .

---

(١) هذه الإجابة تدلُّ على كمال تربية أمّ كلثوم بنت علي وحسن نشأتها ، كما تدلُّ على حسن معاشرتها زوجها وطاعتها له ، وعدم الخروج عن رأيه ورغبته فيما يريده من أمر .

فقال : خذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدّهن ، وجيئيني ببرمة ـ قِدْر ـ وشحم ودقيق وحبوب .

فجاءت به فقال لها : انطلقي واتبعيني .

وحمل عمر على ظهره البرمة والدّقيق والسّمن ، وحملت أمّ كلثوم حوائجها ومشت خلفه حتى انتهى إلى الخيمة فقال لها : ادخلي على المرأة .

أمّا أميرُ المؤمنين عمر ، فجاء حتى قعد إلى الرّجل وجهّز القِدْرَ ، وقال للرّجل : أوقد لي ناراً ، ففعل ، وأوقد تحت القدر وجعل يصلح الطّعام حتى نضج .

وما هي إلا سويعة حتى ولدتِ المرأة ، وانبعثَ بكاء الوليد من داخل الخيمة ، فخرجت أمُّ كلثوم وقالت : يا أمير المؤمنين بشّر صاحبَك بغلام .

فلما سمع الرّجلُ بأمير المؤمنين دُهِشَ واستعظم ذلك ، وجعل يتنحّى عنه على استحياء ، وأخذ يعتذرُ إلى عمر ، فقال له : مكانكَ يا هذا كما أنتَ ، لا بأسَ عليك . ثم حمل القدر فوضعه على باب الخيمةِ ، ونادى أمّ كلثوم قائلاً : خذي القدرَ وأطعمي صاحبتك .

وبعد أنْ فرغتْ من طعامها ، جعلتِ القدرَ أمامَ باب الخيمة ، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يديّ الرّجل وقال له : كُلْ يا أخي فإنّك قد سهرتَ من الليل ، وتعبتَ ، فأكل الرّجل .

ثم نادى عمر زوجته أمّ كلثوم وقال : اخرجي . ثم التفتَ إلى الرّجل

وقال : إذا كان غداً ، فائتنا نأمر لك بما يصلحك إنْ شاء الله تعالى . ففعل الرَّجل ، ووصله عمر وأعطاه وردَّه بما يصلحه إلى أهله ، فانقلب الرَّجل إلى أهله مسروراً[1] .

* وكان سرور أمّ كلثوم عظيماً لهذا الأجْرِ الذي ساقه الله إليها ، لأنَّها كانت السَّببَ في إدخال السَّعادةِ إلى قلْبِ امرأة غريبة فاجأها المخاضُ في ساعة لا يعلم بحالها أحَدٌ إلا الله تعالى . وتابعت أمُّ كلثوم حياتها المعطاء مع عمر رضي الله عنهما ، وهما يعملان على ما يرضي الله عزَّ وجلَّ إلى أن استشهد عمر ـ رضي الله عنه ـ .

* * *

أمُّ كُلْثوم والحَسَنُ والحُسَيْنُ :

* بعد أن انقضت عدّة أمّ كلثوم ـ رضي الله عنها ـ ، خطبها سعيد بن العاص فقالت : إنَّ مثلي لا تزوِّجُ نفسها ، فائتِ أهلي .

فأتى أخاها الحسن بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ فخطبها فقاربه ، فبعث إليها سعيد بمئة ألف ، وكلّم الحسن أخاه الحسين في هذا فأبى ، ودخل الحسين على أخته وقال : لا تزوّجيه .

وكان الحسن قد وعد سعيداً وعداً ، فأتاه سعيد فقال : أين أبو عبد الله ـ أي الحسين ـ ؟

قال الحسن : لم يحضر .

(١) عن مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص ٨٤ و ٨٥) ، والبداية والنهاية (١٤٠/٧) بتصرف .

قال سعيد : فلعلَّ أبا عبد الله كره هذا ؟!

قال الحسن : نعم .

فقال سعيد : إني أكره أنْ أدخلَ بينكم بشيء تكرهونه ، فرجع ولم يأخذ من المال شيئاً[1] .

* وذكر حسن بن الحسن بن علي ـ ابن أخيها ـ أنها تزوجت عون بن جعفر بن أبي طالب ، وروى زواج عمته أمّ كلثوم فقال :

دخل عليها الحسن والحسين أخواها ، فقالا لها : يا أمّ كلثوم ، إنَّكِ ممَّنْ قد عرفتِ ، سيّدة نساء العالمين ، وبنت سيّدتهن ، وإنَّكِ والله إنْ أمكنتِ أباكِ من رُمَّتكِ أنكحك بعضَ أيتامه ، وإن أردتِ أنْ تصيبي بنفسك مالاً عظيماً لتُصيبِنَّه .

قال الحسن بن الحسن : فوالله ما قاما حتى طلع عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ يتكئُ على عصاه ، فجلس فحمد الله عزَّ وجلَّ ، وأثنى عليه ، وذكر منزلتهم من رسول الله ﷺ وقال :

قد عرفتم منزلتكم عندي يا بني فاطمة ، وأثرتكم على سائر ولدي لمكانتكم من رسول الله ﷺ وقرابتكم منه .

فقالوا : صدقتَ ـ رحمك الله ـ فجزاك الله عنّا خيراً .

فقال : أي بنية ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جعلَ أمركِ بيدكِ ، فأنا أحبُّ أنْ تجعليه بيدي ، فلم يزل بها حتى زوجها بابن أخيه عون بن جعفر ،

(١) عن نوادر المخطوطات (١/٦٠) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤/٢٢٧) بتصرف يسير .

فأحبّته فمات عنها ، ثم زوجها بأخيه محمّد بن جعفر فمات عنها ، ثم زوجها بعبد الله بن جعفر فماتت عنده[1] .

* * *

مِنْ مَوَاقِفِهَا المُؤثِّرَةِ :

* لمـا كانتِ الليـلةُ التي أصيبَ فيهـا سيّدنا عليّ بن أبي طالب ـ رضـوانُ الله عليه ـ ، أتاه مؤذّنه عامر بن النّبّاح حين طلع الفجر يؤذنه بالصّلاة ، فقام يمشي ، فلما بلغ الباب الصّغير ، شدَّ عليه عبد الرحمن بن مُلْجـم فضربه ، فخرجت أمُّ كلثوم فجعلتْ تقول : ما لي ولصـلاة الصُّبح ، قُتِلَ زوجي عمر صـلاة الغداة ، وقتل أبي صـلاة الغداة .

* وأُدْخِلَ ابنُ ملجم على سيّدنا عليّ ـ رضي الله عنه ـ ، فقالت له أمُّ كلثوم : أقتلـتَ يا عدو الله أمير المؤمنين ؟ قال : لم أقتل إلا أباك . فقالت : والله إنّي لأرجو أنْ لا يكونَ على أمير المؤمنين بأس . قال : فلم تبكـين إذاً ، والله قد سَـمَمْتُ السّيف شهراً ، فإنْ أخلفني فأبعده الله وأسحقه ، ولو كانت الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد .

* وأورد أبو علي القالي[2] ـ رحمه الله ـ في « الأمالي » أنَّ ابن ملجم

---

(١) عن أُسْدِ الغابة (٥/٦١٥) ، وسير أعلام النبلاء (٣/٥٠١ و ٥٠٢) بشيء من التصرف .

(٢) هو إسماعيل بن القاسم : أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب . تعلّم في بغداد وأقام (٢٥) سـنـة . ثم رحل إلى المغرب فدخل قرطبـة في أيام عبد الرحمن الناصر واستوطنها . وأحبه الحكم المستنصر بن الناصر . صنّف « الأمالي » و « البارع » وغير ذلك . توفي سنة (٣٥٦ هـ) .

لما ضرب علياً ـ رضي الله عنه ـ قال : أمّا أنا فقد أرهفتُ السّيف ، وطردتُ الخوفَ ، وحثثتُ الأملَ ، ونفيتُ الوَجَلَ ، وضربته ضربة لو كانت بأهلِ عكاظ قتلتْهم .

وفي ذلك يقول النَّجاشي[1] :

إذا حيّــةٌ أعيــا الرّقــاة[2] دواؤهــا
بعثنــا لهـا تحت الظّــلام ابن مـلجـم

* وتوفي أمير المؤمنين عليّ من أثر الضّربة المسمومة ، وبكته ابنته أمّ كلثوم بكاء شديداً ، وكذلك زوجته أمامة بنت أبي العاص[3] ـ رضي الله عنها ـ ، وقد كانت هاتان المرأتان من أشدّ النّاس حزناً عليه ؛ وقالت أمُّ الهيثم بنت الأسود النّخعية ترثي علياً ، وتصور حُزْن أمامة وأمّ كلثوم :

ألا يــا عــينُ ويحكِ فــاســعـدينــا
ألا تبـكــي أمــير المــؤمـنيــنـا ؟
أشــــابَ ذؤابــتي ، وأطــالَ حـزني
أمــامــة حــين فــارقتِ القــرينــا

(١) النّجاشي : هو قيس بن عمرو بن مالك ، أحد بني الحارث بن كعب ، كان من أشراف العرب ، إلا أنّه كان فاسقاً ، وهو الذي أُتي به عليّ ـ رضي الله عنه ـ وهو سكران في شهر رمضان ، فضربه ثمانين ، وزاده عشرين ، فقال : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ؟ قال : لجرأتك على الله ، وشُربك في رمضان ، ولأنّ ولداننا صيامٌ وأنت مفطرٌ . ووقفه للناس في تبّان ، فلذلك قال هذا الشّعر .

(٢) « الرُّقاة » : مفردها الرّاقي ، وهو صانع الرّقية ، وهي العُوذة التي يُرقى بها المريض ونحوه .

(٣) اقرأ سيرة بنت أبي العاص في كتابنا « نساء من عصر النّبوّة » الجزء الثاني .

تطــــوفُ بهـــا لحـــاجتهـــا إليـــه

فــلمـــا استيـــأستْ رفَعَتْ رنينـــا

وعـــــبرةُ أمّ كلثـــــوم إليهـــــا

تجاوبُهـــا ، وقـــد رأتِ اليــقــيــنـــا

* ولأم كلثوم مواقف تشير إلى أنّها أفصح نساء قريش ، وأبينهن كلاماً ، وأخطبهن إذا ما ألمّ حَدَث ، أو نزلت نازلة ، وكانت تفحِمُ خصومها بالحجّةِ والبرهان ، كأنّما الفصاحة انقادت لها انقيادَ الطِّفْل لأمّه ، وذللتْ لها قطوف البيان حتى كأنّها تتكلم وتختار ما تشاء من الكلام ؛ دون تكلف أو عناء ، ومثال ذلك خطبتها الشّهيرة في أهل الكوفة ، لما قُتل أخوها الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ[1] .

* * *

أمُّ كُلثوم وابنُها زيْدٌ :

* كان زيد بنُ عمر من أشراف قريش وساداتهم ، وكان فتى آتاه الله بَسْطةً في العلم والجسم ، وكان جريئاً لا يهاب أحداً ، ذكر هذا واحد ممن حضره فقال :

وَفَدْنا مع زيدٍ على معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ ، فأجلسه معه ، وكان زيدٌ أجمل النّاس ، فأسمعه بُسر بن أرطأة[2] كلمة ،

---

(١) انظر هذه الخطبة في أعلام النساء (٢٥٩/٤ و ٢٦٠) .

(٢) هو بُسْر بن أرْطأة العامري القرشي ، أبو عبد الرحمن : قائد فتاك من الجبارين . ولد=

ونـال من جدّه عليّ ـ رضي الله عنـه ـ ، فنزل إليـه زيد ، فصرعه ، وخنقه ، وبرك على صَدْره وقال لمعاوية : إنّي لأعلمُ أنَّ هذا عن رأيك ، وأنا ابن الخليفتين .

فقال معاوية : أبْعَد الله بُسراً ، أبْعَد الله بُسراً ، أمَا عَلِمَ بُسْر أن زيداً ابن عليّ وعمر ، وأمّ زيد ابنة علي من فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ ؟ .

ثم خرج بُسر وقد تشعّثَ رأسه وعمامته ؛ عندئذ اعتذر معاوية إلى زيدٍ ، وأمر له بمئة ألف ، ولعَشْرٍ من أتباعه بمبلغ[1] .

* وتوفي زيد شاباً ، وسبب وفاته أنَّ فتنةً وقعت في بني عديَ ليلاً فخرج زيدٌ ليصلح ذات بينهم ، فضربه رجلٌ منهم في الظّلمة فشجّه وصرعه ، وخرجتْ أمّه وهي تقول : يا ويلاه ، ما لقيتُ من صلاة الغداة ، وذلك أنَّ أباها وزوجها وابنها قُتِلَ كلّ واحد منهم في صلاة الغداة ـ الصّبح ـ ثم وقعتْ عليه فقُبضت هي وابنها في ساعة واحدة .

* وحضر جنازتيهما الحسن والحسين وعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ ، فقال ابن عمر للحسن : تقدّم فصلِّ على أُختِكَ وابن أختك ، فقال الحسن لابن عمر : بل تقدم فصلِّ على أمّك وأخيك .

= بمكة قبل الهجرة ، وأسلم صغيراً . وروى عن النبي ﷺ حديثين في مسند أحمد ، ثم كان من رجال معاوية بن أبي سفيان . وشهد فتح مصر . وولاه معاوية البصرة بعد مقتل علي وصلح الحسن ، ثم ولاه البحر فغزا الروم سنة (٥٠ هـ) . توفي سنة (٨٦ هـ) .

(١) عن ربيع الأبرار للزمخشري (٥/٣٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (٣/٥٠٢) بتصرف يسير .

* فتقدّم ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، فجعل زيداً مما يليه ، وأمّ كلثوم وراءه ، فصلّى عليهما وكبّر أربعاً ، وخلفه الحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ .

* وكانت وفاةُ أمّ كلثوم بنت عليّ ـ رضي الله عنهما ـ في خلافة سيّدنا معاوية ـ رضي الله عنه ـ حسبما ذكر الذهبي(١) ذلك .

* رحم الله أم كلثوم ورضي عنها ، وستظلّ أمُّ كلثوم قدوة للنّساء الفاضلات على مدى الأيام والأعوام .

* وقبل أنْ نودّع سيرتها المعطار ، تعالوا نذكر لها هذه الفضيلة ، وهي المرأة القرشيّةُ التي شهد أبوها وجدُّها وزوجها بدراً .

فجدها رسول الله ﷺ .
وأبوها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .
وزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
وكلّهم شهدوا بدراً .

وهذه منقبةٌ لأمّ كلثوم بنت علي لم تتوفر لامرأة قرشيّة غيرها ؛ فرضي الله عنها وأرضاها .

* * *

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٣/٥٠٢) . وقد ورد في بعض المصادر أنّ الذي صلى على زيد وأمّه ، أمير المدينة المنورة وقتذاك سعيد بن العاص ، وفي النّاس : ابن عباس ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدريّ ، وأبو قتادة رضي الله عنهم . انظر مثلاً كتاب المعرفة والتاريخ (١/٢١٤) .